الفصل التاسع

الاستظهار أو الحفظ..

قواعده، وأهم مبادئه

هنـاك أشـخاص لديهـم قـدرة عاليـة علـي الاسـتظهار والحفـظ، بحيث يستطيعون استيعاب ما يُقدَّم لهم من معلومات، ويسهل عليهم الاحتفاظ بها، واسترجاعها بكفاءةٍ وسرعةٍ تفوق غيرهم من النَّاس، هـؤلاء يمكنَّنـا أن نُطلـق عليهـم أصحـاب الذاكـرة القويَّـة (الحديديـة)٠

إنَّ العقـل البشـري يتسـع لتصنيـف وتخزيـن وتذكُّر المعلومـات إلي الدرجـة التـي يستطيع معهـا التفـوق علـي أفضـل كمبيوتـر في العالـم؛ فالعقـل البشـري يعمـل بسـرعة ومرونـة رائعـة وغيـر عاديـة، حيـث يستطيع التمييـز بـين أنـواع الحيوانـات المختلفـة ،علـي سـبيل المثـال، في جـزءٍ مـن الثانيـة، وبـدون أدنـي صعوبـة.

كمـا يتسـع عقـل الإنسـان لمسـاحاتٍ هائلـةٍ مـن المعرفـة تكفـي لخزيـن آلاف المعلومـات الجديـدة كُلّ ثانيـة، ابتداء مـن لحظـة الـولادة وحتـى آخـر مرحلـة الشـيخوخة وتوقـف الدمـاغ أو المـخ عـن العمـل، ومعنـي ذلـك أنَّـه لا توجـد حـدود لحجـم المعلومـات التـي يسـتطيع الإنسـان أن يُسـجلها في ذاكرتـه. ويؤكِّـد العلمـاء أنَّنـا نسـتخدم فقـط أقـل مـن نسـبة ١٠٪ مـن قدرتنـا الهائلـة علـي الحفـظ.

● مبادئ الحفظ :

هناك مبادئ عديدة تدخل في عملية الحفظ، هي مايلي:

١. مبـدأ تحويـل الموضـوع أو الموقـف إلـي المألـوف أو المعـروف لـدي الفـرد: فعندمـا يكـون الموضـوع واضحـاً ومعروفـاً يسـتطيع الفـرد أنْ يتذكَّـره.

٢. مبدأ الانتقال: إنَّ قدرة الفرد علي الانتقال السريع كثيراً ما تُساعده أو تُجنبه الوقوع في عملية التداخل بين الموضوعات.

٣. مبدأ التسهيل: أن يبتعد الفرد والمُعلِّم عن طريقة تعقيد المشكلات ويعتمد التبسيط والسير من السهل إلي الصَّعب، ومن البسيط إلي المُعقَّد، ومن القريب إلي البعيد، ومن المألوف إلي الغريب أو غير المألوف.

٤. مبدأ العلاقات: اعتمدت الطريقة الحديثة في تقوية الذاكرة علي خلق الترابط بين الموضوعات أو الأشياء، ويعتمد ذلك علي ربط الأشياء بمواقف وأشكال مختلفة كي تترسخ في الذاكرة، فإن اعتمدت عملية حفظ الأرقام أو الأسماء علي ذلك الترابط كانت قدرة الحفظ أسهل علي الفرد.

٥. مبدأ التماثل والتشابه: تعتمد طريقة التعلُّم والتعليم علي مبدأ التماثل الذي يتضمَّن العناصر المشتركة بين الموضوعين، هذا ما جاء به العَالِم الأمريكي «إدوارد لي ثورندايك»Edward Lee Thorndike (١٨٧٤ ــ ١٩٤٩م).

أمَّا مبدأ التشابه الذي يعتمد علي وضع مواقف متشابهة قدر الإمكان لتسهيل عملية الحفظ وبقاء المادة المُتعلَّمة في الذاكرة مدة طويلة هذا ما اعتمدت عليه «نظرية الجشتالت ».

٦. مبدأ الميل إلي التأويل: ويعتمد هذا المبدأ علي قدرة المتعلِّم والمُعلِّم علي الوصول إلي طريقةٍ سهلةٍ في تأويل الأشياء والمواقف المختلفة.

● **كيفية الاستظهار أو الحفظ :**

الاستظهار هو نوعٌ من التعلُّم·ولقد قام علماء علم النفس بكثيرٍ من التجارب عن طرق الحفظ لمعرفة الأحسن منها، والأكثر اقتصاداً في الوقت، والأسهل في التذكُّر·

ويتطلَّب الحفظ الجيد، ما يلي:

١ـ قراءة القطعة المُراد حفظها·

٢ـ فهم معني القطعة.

٣ـ ربط أجزاء القطعة بعضها البعض·

٤ـ تكرارها كُلّها في فتراتٍ مختلفة.

ولنذكر هنا ما وصل إليه العلماء من نتائج بعد الفحص والاستقصاء، بشأن قواعد الحفظ الصحيحة:

- **أوَّلاً:** إذا تم تكُلّيفنا في اختبار مثلاً، حفظ كلمات لا معني لها مطلقاً، فقد نكرِّرها تكراراً آليًّا حتى نحفظها٠ ولكن هذه الطريقة بطيئة، ومضيعة للوقت، وغير مفيدة٠ والأفضل أن ننظر أوَّلاً نظرة عامَّة إلي هذه الكلمات، ثُمَّ نتعرَّف علي الكلمات التي تجئ في البداية، ثُمَّ الكلمات التي تجئ في الوسط، والتي تجئ في الآخر، بعدها نقوم بترتيبها بقدر الإمكان، وذلك بأن نعمل علي إيجاد أي علاقة تربطها بعضها ببعض، كالاتفاق في الوزن، أو السجع، أو الحرف الأوَّل من الكلمة.. إلخ، ونعرف أوجه الشبه والاختلاف بينها٠وهنا يمكن حفظها بسهولةٍ إذا قرأت بضع مرَّات.

- **ثانيًا:** بالنسبة لحفظ القطع الشعرية أو النثرية، علينا أوَّلاً فهم كُلّ جزء منها، ثُمَّ فهم المعني العام للقطعة، ومعرفة السبب في اختيار الشاعر أو الكاتب لبعض الكلمات الغريبة أو الصَّعبة، والتفكير في إيجاد علاقةٍ بين الأجزاء أو الأبيات بعضها البعض.

وممَّا يُساعد علي الحفظ هنا اتصال الأفكار بعضها ببعض، وارتباط المعاني في القطعة٠ ولذلك لا تحتاج القطعة المفهوم معناها من الوقت، ما تحتاج إليه قطعة أخري لا معني لها، مع تساويهما في الطول. ولا عاقل يُفكِّر في حفظ قطعة ذات معني بالتكرار الآلي، من غير فهم للمعني، أو التفكير في جمال الشعر

مثـلاً، أو خيـال الكاتـب وغرضـه الـذي يقصـده، وحُسـن عباراتـه، وجمـال أسـلوبه، والانتقـال مـن فكـرةٍ إلـي أخـري، واسـتنباط مـا يمكـن اسـتنباطه، وربـط الأفـكار بعضهـا ببعـض، ومقارنـة الأسـلوب هنـا بأسـلوب آخـر في قطعـة مختلفـة.

كُلّ هـذه الملاحظـات تُسـاعد كثيـراً في سـرعة الحفـظ وسـهولة التذكُّر٠أمَّـا الذيـن يحفظـون ولا يفكـرون في المعنـي، ولا ينتبهـون إلـي سلسـلة الأفـكار التـي في القطعـة أو القصيـدة فإنَّهـم بكُلّ أسـف يضيعـون كثيـراً مـن وقتهـم في الحفـظ، ثُمَّ سـرعان مـا ينسـون مـا حفظـوه !!

- **ثالثًا:** الاقتصـاد في وقـت الحفظ،فقـد يُكلِّـف المُعلِّـم أحـد طلابـه بحفـظ قصيـدة أو خطبـة في زمـنٍ مُحـدَّد، فما أحسـن الطرق التي يمكـن لهـذا الطالـب أن يسـتخدمها في الحفـظ مـع الاقتصـاد في الوقـت؟ لقـد توصَّـل العلمـاء بعـد البحـث إلـي كثيـرٍ مـن القواعـد التـي تُسـاعد علـي توفيـر الوقـت، وجـودة الحفظ،منهـا:

- فهـم القطعـة مـع إيجـاد روابـط تربـط المـادة بعضهـا البعـض، فـلا يكفـي مُجـرَّد التكـرار.
- قـراءة القطعـة مـرَّة أو مرَّتـين، ثُمَّ تركها وتسـميعها لنفسـك، فإذا مـا وجـت صعوبـة أو أخطـأت، قـم بمراجعـة الورقـة أو الكتـاب لتتحقَّـق بنفسـك مـن الصـواب والخطـأ، ولتـري مـا تحتـاج إليـه، وهكـذا تقرؤهـا وتُسـمِّعها حتـى تحفـظ مـا طلـب منـك٠

ولقد اختبرت هذه الطريقة، فوجد أنَّها اقتصادية، وأحسن في الحفظ؛ لأنَّ الإلقاء من غير ورق يُثبت المادة التي تحفظها، ويجعلها راسخة، بحيث تبقي مدة طويلة، لا يعتريها كثيراً من النسيان.

والتسميع يدعو إلي الانتباه، والارتياح إلي العمل، وسرعة الحفظ، فحينما تعرف أنَّك ستُختبر فيما حفظته، وتُحاسب علي المدة التي تحفظ فيها، فهذا يجعلك تنتبه كُلّ الانتباه إلي القطعة أو القصيدة، ويجعلك أيضاً تُلاحظ الأمور الغريبة أو الصَّعبة فيها، فتجتهد في فهمها وترتيبها، وهذا كُلّه يُساعد علي الحفظ والتذكُّر.

أمَّا من جهة الارتياح إلي العمل فإن تسميعك لنفسك يُريك نتيجة حفظك، والأجزاء التي حفظتها جيداً، والتي تحتاج إلي إعادتها مرَّة ثانية، ويُبيِّن مواطن الضَّعف التي يجب أن تُعطيها عناية وأهمية كبيرة، ويُشجعك علي الاستمرار حتى تصل إلي الغرض المقصود وهو حفظ القطعة.

وبالتسميع تقوم بالعمل الذي ستطالب به في النهاية، وهو إلقاء القطعة أو القصيدة من غير النظر في الورقة أو الكتاب، وهذا يُساعد علي النجاح في الاختبار، فهو تمرين علي الحفظ.

- **رابعًا:** إذا طلب المُعلِّم من طالب حفظ قصيدة في وقت مُعيَّن، فهل الأفضل أن يحفظها في فترةٍ أو جلسةٍ واحدةٍ بحيث إن

تكررها يؤدي إلي حفظها ؟ أم يحفظها في فترات مختلفة بأن يقرأها مثلاً خمس مرَّات كُلّ صباح ثُمَّ يتركها ؟

الجواب الذي لا خلاف عليه هو: الأفضل الحفظ في فترات مختلفة؛ لأنَّ هذه الطريقة أكثر اقتصاداً للوقت، وأحسن في التذكُّر ممَّا لو كان حفظها في وقتٍ واحد، كما أنَّها أدعي إلي تثبيت القصيدة فلا تُنسي بسرعة.

وكُلّ طالب يشعر بأن حشو الذهن قبيل الامتحان قد يؤدي إلي غرض وقتي وهو النجاح، ولكنَّه سرعان ما ينسي كُلّ شيء بعد الامتحان، ولا يبقي في ذهنه من هذا الحشو إلاَّ القليل، فتكرار المادة يثبتها في النفس أحسن حينما تمضي فترة بين أوقات الحفظ. وليس بالضرورة أن تكون الفترة خالية من عمل آخر مثلاً، فالمهم ترك المادة لوقتٍ ما، ولا مانع من الاشتغال بمادة أخري.

- **خامسًا:** لحفظ قطعة صغيرة كعشرة أبيات مثلاً، يجب أن تحفظ القطعة مرَّة واحدة من غير تجزئة، حتى لا تنقطع سلسلة الأفكار، فيسهل الحفظ.

أمَّا طريقة التجزئة وهي المُتبعة بين الطلاب في دروس المحفوظات التي لا تزيد غالباً علي خمسة أبيات فطريقة محكوم عليها بالخطأ.

وأمَّا القصيدة الطويلة فهل من الأفضل أن يحفظها الطالب كُلّها مرَّة واحدة من غير تجزئة ولو في عدة فترات ؟ أم من الأفضل أن يحفظ الطالب جزءاً منها كُلّ يوم حتى يحفظها كُلّها ؟

وللإجابة علي هذا السؤال نذكر التجربة التالية:

أخذ طالب قطعتين من قصيدة واحدة، تبلغ كُلّ منها (٢٤٠) بيتاً، وحفظ إحداهما بطريقة الكُلّ وهي عدم التجزئة، والأخرى بطريقة التجزئة، وقد خصَّص من وقته خمساً وثلاثين دقيقة كُلّ يوم للحفظ، فكانت النتيجة كالتالي:

طريقة الحفظ	عدد الأيام المحتاج إليها	الزمن المحتاج إليه بالدقائق
١- طريقة التجزئة: بحفظ ثلاثين بيتاً كُلّ يوم، ثُمَّ قراءتها كُلّها حتى يتم حفظها.	١٢ يوماً	٤٣١ دقيقة
٢ـ طريقة الكُلّ: بقراءة القطعة كُلّها ثلاث مرَّات يومياً،حتى يتم حفظها.	١٠ أيام	٣٤٨ دقيقة

ومن هذه التجربة نستنتج أنَّ طريقة الكُلّ، وهي حفظ القطعة كُلّها مرَّة واحدة في فترات مختلفة، أكثر اقتصاداً من طريقة التجزئة، فهنا مثلاً قد اقتصد الطالب (٨٣) دقيقة من وقت الحفظ،أي٢٠٪ تقريباً من الوقت المُحتاج إليه.

● **عوامل النجاح في طرق الحفظ المختلفة :**

١ــ **التشويق:** وهو العامل الوجداني، ويدعو إلي التجزئة وحفظ القطعة جزءاً جزءاً وبخاصَّة مع التلاميذ الصِّغار،حتى لا يشعروا بصعوبة إذا تمَّ تكليفهم بحفظ قطعة أو قصيدة طويلة، أو يظنوا أنَّها فوق طاقتهم.

وكذلك يدعو إلي الحفظ مرَّة واحدة من غير فترات إذا كانت القطعة صغيرة أو متوسطة في طولها، لأنَّ التلميذ إذا شعر بأنَّه أوشك أن يحفظ فضَّل الاستمرار حتى ينتهي من الحفظ نهائيًّا، بدلاً من أن يترك القطعة ليكمل حفظها في يومٍ آخر٠وإن الرَّغبة في الانتهاء من العمل مدعاة إلي النشاط والجد والانتباه حتى يتم الحفظ.

٢ــ **عامل الجدة:** ويدعو للعمل وقت الهمة النشاط، وطَرق الحديد حينما يكون منصهراً، أي الحفظ مع التجزئة من غير فترات، لأنَّك إذا قرأت القطعة من أوالها إلي آخرها، ثُمَّ رجعت إلي أولها تكون قد فقدت نشاطك.

٣ــ المعني: إنَّ هذا العامل يستدعي فهم معني القطعة أو القصيدة، وذلك يستلزم إدراك المادة، ومعرفة العلاقة بين أجزائها. وللمحافظة علي العلاقة يحسن الحفظ بطريقة الكُلّ من غير تجزئة، بقراءة القطعة من أوَّلها إلي آخرها، وهذا يُفضَّل مع كبار التلاميذ الذين يحرصون علي فهم المعني.

وإذا كنت تفضِّل طريقة التجزئة فالأفضل أن تنظر أوَّلاً نظرة عامَّة إلي القطعة كُلّها حتى تعرف معناها فذلك يُسهِّل عليك الحفظ والتذكُّر.

٤ــ الدوام والاستمرار: وهو في صف الحفظ في فترات مختلفة حتى تستفيد العضلات بالتمرين ـ مع وجود فترات للرَّاحة ـ أكثر ممَّا لو عمل التمرين مدة طويلة في وقتٍ واحد، فالمصارع مثلاً لا يُفكّر مطلقاً في أن يقوي نفسه في أثناء تعلُّم المصارعة بالتمرين مرَّة واحدة، وفي فترة واحدة.

والأعصاب كالعضلات تتبع نفس القانون، ولهذا السبب تجد الحفظ مع فترات يؤدي إلي بقاء المادة في النفس، واستمرارها أكثر من الحفظ في وقتٍ واحدٍ من غير فترات.

ومجمل القول يُحسن التجزئة والحفظ في فترةٍ واحدةٍ مع صِغَار التلاميذ، وتحسن طريقة الكُلّ والحفظ في فتراتٍ مختلفةٍ مع كبار التلاميذ.

٥ــ إرادة الحفظ: في دروس المحفوظات يجب أن يفهم التلميذ أنَّه مُكلف بحفظ القطعة أو القصيدة حتى يعمل بإرادة قويَّة وعزم ثابت علي الحفظ، ويقوم بمجهودٍ فيه.

والإنسان إذا عرف أنَّه سيتم اختباره في حفظ هذه القصيدة مثلاً، لجعلها موضع عنايته واهتمامه، وإذا لم يعرف ذلك فقد لا يهتم بهذا العمل٠وإنَّ الأشياء التي تترك أثراً طيباً في نفوسنا نتذكَّرها جيداً وبوضوحٍ شديد٠

وكُلّ ما يحفظه الطفل الصَّغير في سنيه الأوَّلي يحفظه آليًّا من غير تفكير في الحفظ، فقد يسمع أغنية من والدته مثلاً كُلّ ليلة قبل أن ينام حتى يأتي الوقت الذي فيه يستطيع أن يُغنيها وحده، مع أنَّه لم يقصد حفظها٠